تامر عثمان

أنا موقن أني لست من هنا، لا الطريق ولا شكل البيوت، ولا الروائح التي تسكن أنفي، كلانا غريب عن الآخر، أنا وهذا المكان، لعله حلم آخر من أحلامي الماجنة، وماذا إن كنت في الأساس أحد سفاحي هذا العصر الذين يفقدون إدراكهم بالواقع لفترة ثم يعودون كما كانوا! كل الدروب من حولي تصلح لأن تكون ساحة لجريمة قتل كاملة، وتحديدًا ذلك المنزل ذو الواجهة المظلمة والممر الطويل، أما عن الضحية فلعلّها تكون ذلك الظل الذي يقترب من بعيد في خطوات حائرة كما لو كان تائهًا، القتل من أجل القتل، لن يكون ذلك أغرب أحلامي، فلكَم حلمت بأغرب من ذلك، المهم هو الاستمتاع، القفازات المطاطية البيضاء وبالتأكيد سأجد أداة الجريمة في جيبي الآخر، حسنًا ها هي، مشرط جراح، والآن أتلحف بالظلام حتى يقترب وأنهي حياته المتعثرة.

- دكتور.. دكتور.. إنت كويس؟

المشرط ما زال بيدي، ولكني أرتدي ملابس طبية معقمة تخص الجراحين وكمامة على فمي، فانتبهت إلى زميلي الطبيب بعد أن أدركت أني في غرفة العمليات وعلى وَشَك القيام بعملية جراحية.

- أنا كويس.

بدأت العملية الجراحية بينما ظهر من خلفي من جديد البيت ذو الممر الطويل، ورأيت صاحب الظل بين يديّ وقطرات من دمائه على قفازي.

¤¤¤

حسنًا، لم أكن أريد أن أخوض في هذا الأمر لما يعيده عليّ من ذكريات حزينة، ولكن البحث عن الحقائق مهنتي، تلك الصورة للجنيّ الأخضر المتعلق بباطن كهف أثير حولها الكثير من المهاترات والقصص منذ عدة سنوات، مما دفعني أنا وصديق لي أن نذهب إلى جبل المقطم حيث أشار المتحدثين عن تلك الصورة، وفي ليلة غير مقمرة ولجنا إلى الكهف الذي يتوسط الجبل وأطلقنا العنان لكشافاتنا "الزينون" والتي جعلت الكهف ظهرًا، وما هي إلا بضعة مترات ووجدنا غايتنا، لم نجزع في الحقيقة، ليس لشجاعتنا ولكن لمنطقنا، فكيف لهذا الجني أن يظل قابعًا كل هذا الوقت في نفس المكان على نفس الهيئة، وأكَّد شكوكنا اقترابنا الذي أسفر في نفوسنا هن ماهية هذا الشيء، فلم يكن سوى تمثال ملوَّن تركه شخص ما ساخرًا من كل من يلج إلى هذا الكهف.

التقطت صورة لصديقي إلى جواره لنعود بالحقيقة معًا كما اعتدنا، وفور أن خرجنا من الكهف وجدنا رجلًا يلتحف ملاءة ويعطينا ظهره، أخرجت كاميرتي وأخذت أصوره، وحينما استدار وظهر وجهه، ظننا أنه صانع التمثال و يرتدي قناعًا كي يكمل إخافته للزائرين، وفور أن وقعت الملاءة من عليه وظهر وجهه كله وبقية جسده، حتى تراجع صديقي للخلف وتعثر وسقط أرضًا، وفور أن استدرت إليه بوجهي وجدت نباتًا عجيبًا مليئًا بالأشواك يخرج من جسده، ويمزق جلده وأطرافه، سقط كشافي أرضًا من الفزع، وانطلقت بأقصى سرعة إلى أسفل الجبل بعيدًا عن فتحة الكهف نحو أضواء السيارات التي تمر بالطريق، حتى صدمتني إحداها، ولم أفق إلا بالمشفى، وحينما قصصت ما حدث، لم يصدقني أحد، وها أنا أقضي في سجني هذا العام الخامس بتهمة خطف صديقي وإخفائه.

¤¤¤

في كل يوم أعود منهكًا من أعباء العمل ودوامات الحياة المعتادة، ورغم اعتيادي على ضجيج الجيران في نفس هذا الوقت كل يوم، إلا أن أمس وعلى غير العادة لم تكتمل معزوفة الضجيج التي اعتادتها مسامعي، لم يصمتوا أبدًا منذ خمس سنوات، ولم أرهم قَط يومًا خارج منزلهم في رحلة سفر، دفعني فضولي وبعض من وسوسة شيطانية أن أكشف حجاب الباب من خلال ثقبه، والذي سولت لي نفسي أنه لم يُصنَع إلا لهذا الغرض، كان ظهره يسد عليّ الرؤية، يبدو من الخلف كطبيب يكشف على مريض ما مستلقٍ على الأرض، وما هي إلا لحظات إلا ورأيت فأسه يرتفع في الهواء ليصطدم بأرضية الشقة بعد رحلة قصيرة في قطعة لحم طازجة، وبعد انتهاء رحلة الفأس فضحتني شهقة أخرجتها (أنا) قهرًا، التفت إليّ (هو) إثرها، وتوجَّه نحوي، تراجعت بفزع كردّ فعلٍ لا إرادي، لأفاجأ به خلفي يحمل فأسه وأنا داخل شقته، ارتعبت من هول الموقف ولم تعد قدماي تحملانني فسقطت (أنا) أرضًا، لأجد إلى جواري جمجمة بشرية مشفّاة من اللحم، فأمسكتها وأطلقتها بكل قوة نحو رأسه فصدمته وسقط أرضًا وإلى جواره فأسه، انحنيت فوق جسده، وأمسكت بالفأس تحسُّبًا لبادرة غدر، وفور أن تأوه رفعت الفأس عاليًا وأسقطته على رقبته لأفصل رأسه عن جسده، وفور أن استقر الفأس سمعت شهقة تأتي من خلفي، من خلف ثقب الباب!

¤¤¤